ملخص كتاب «معالم في طريق طلب العلم»

للشيخ عبد العزيز السدحان

كتب الملخصَ: مُحمّد شُميس

مقدمة في فضل طلب العلم

أوّلًا: قال الله تعالى - مادحًا حملة العلم -: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر٢٨] ، وخصّ العلماء بالخشية؛ لأنهم أعرف الناس بالله، فالعلم سبب لمرضاة الله تعالى.

ثانيًا: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مَن سلك طريقًا يطلب فيه علمًا؛ سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورّثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[1]

ثالثًا: قال ابن القيم: «كلّ ما كان في القرآن من مدح للعبد فهو من ثمرة العلم، وكلّ ما كان فيه من ذم للعبد فهو من ثمرة الجهل».

رابعًا: قال ابن القيم: «ولو لم يكن في العلم إلا القرب من رب العالمين، والالتحاق بعالم الملائكة وصحبة الملأ الأعلى؛ لكفى به شرفًا وفضلًا، فكيف وعِزّ الدنيا والآخرة منوط به، مشروط بحصوله»[2]

---

[1] انظر «صحيح الجامع»: (6297) للألباني.

[2] ابن القيم، «مفتاح دار السعادة»: (1/108)

المعوقات عن طلب العلم

المعوق الأول: فساد النية.

«النية» هي ركن العمل وأساسه، وإذا تخللها خلل أو دَخَن؛ فإن العمل يعتريه من الخلل والدَّخَن بقدر ما يعتري النية.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إنَّما الأعمالُ بالنياتِ و إنَّما لِكلِّ امرئٍ ما نَوى»[1]

وكان سفيان الثوري - رحمه الله - يقول: «ما عالجت شيئًا أشدّ عليّ من نيتي»[2] فينبغي أن نكون متجرّدين في طلب العلم، لا نريد به إلا وجه الله عزوجل، وإن صاحب نية الإنسان ما صاحبها من تلبيس إبليس؛ فعليه - لزامًا - أن يجاهد نفسه ويحارب اللوث والدخن ما استطاع إلى ذلك سبيلا، دون فتور أو يأس.

المعوق الثاني: حب الشهرة والتصدر.

قال الشاطبي: «آخر الأشياء نزولًا من قلوب الصالحين: حب السلطة والتصدّر»[3]، وإذا كان هم طالب العلم ونيته أن يشتهر اسمه، أو يرتفع ذكره؛ فقد أدخل نفسه مداخل خطيرة، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أول ثلاثة يُقضى عليهم يوم القيامة: «ورَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ، وعَلَّمَهُ وقَرَأَ القُرْآنَ، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَها، قالَ: فَما عَمِلْتَ فيها؟ قالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ، وعَلَّمْتُهُ وقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ، قالَ: كَذَبْتَ، ولَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ العِلْمَ لِيُقالَ: عالِمٌ، وقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقالَ: هو قارِئٌ، فقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فَسُحِبَ على وجْهِهِ حتّى أُلْقِيَ في النّارِ»[4]

---

[1] رواه خلق.

[2] ابن جماعة، «تذكرة السامع والمتكلم»: (68).

[3] الشاطبي، «الاعتصام».

[4] «صحيح مسلم»: (1905).

وكان السلف - رحمهم الله - أبعد الناس عن حب الشهرة، ومن شواهد ذلك:

أ- قال أيوب السختياني: «ذُكرتُ، ولا أُحبّ أن أُذكر»[1]

ب- وقال حماد عن أيوب: «كنت أمشي معه فيأخذ في طرق إني لأعجب كيف يهتدي لها؛ فرارًا من الناس أن يُقال: هذا أيوب»[2]

ج- قال بشر بن الحارث: «ما اتقى اللهَ من أحب الشهرة»[3]

د- وقال الإمام أحمد: «أُريد أن أكون في شعب بمكة؛ حتى لا أُعرف، وقد بُليت بالشهرة»[4]، وقال مرة يُخاطب تلميذه لما بلّغه مدح الناس: «يا أبا بكر، إذا عرف الرجل نفسه فما ينفعه كلام الناس»[5]

المعوق الثالث: التفريط في حلقات العلم.

المعوق الرابع: التذرّع بكثرة الأشغال.

ولو أن صاحب هذه الحجة رتّب أوقاته، واستغل ما يستطيع؛ فإنه سيحصل كثيرًا، ولسان حال من انتفعوا بترتيب أوقاتهم يقول:

وَمَنْ لَمْ يُجَرِّبْ لَيسَ يَعْرِفُ قَدْرَهُ فَجَرِّبْ تَجِدْ تَصْدِيقَ مَا قَدْ ذَكَرْنَاهُ

المعوق الخامس: التفريط في طلب العلم في الصغر.

قال الحسن: «طلب الحديث في الصغر كالنقش في الحجر».

وقال عمرُ بن الخطاب - رضي الله عنه -: «تفقّهوا قبل أن تُسوَّدوا»، قال البخاري: «وبعد أن تُسَوَّدوا،

---

[1] الذهبي، «سير أعلام النبلاء»: (6/22)

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق: (10/476)

[4] المرجع السابق: (11/216)

[5] المرجع السابق: (11/211).

وقد تعلم أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - في كبر سنّهم».

المعوق السادس: العزوف عن طلب العلم.

ومن أسباب ذلك: العزوف بزعم التفرغ لمتابعة أحداث العصر، ولمعرفة الواقع، والناس في هذا الباب بين إفراط وتفريط ووسط، والأولان على خطأ، فالتفرغ لمتابعة الجرائد والمجلات[1] ثم معالجة قضايا الواقع دون الرجوع للعلماء من الخسران، ولن يعرف صاحب هذا الفعل قدر خسارته إلا فيما بعد، قال القائل:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وأَبْصَرْتَ حَاصِدًا نَدَمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ البَذْرِ.

المعوق السابع: تزكية النفس.

والمراد بها: أن يُحب الشخصُ مدحَ نفسه، أو يُضفي على نفسه ألقابًا، أو يفرح بسماع ثناء الناس عليه، نعم؛ ثناء الناس على المؤمن من عاجل بشراه، لكن الحذر كل الحذر أن يُمدح الإنسان بما ليس فيه ويفرح بذلك.

المعوق الثامن: عدم العمل بالعلم، وهو سبب رئيس لشيئين:

أ- محق بركة العلم.

ب- قيام الحجة على صاحب العلم.

قال علي - رضي الله عنه -: «يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل»

المعوق التاسع: اليأس واحتقار الذات.

اليأس وعدم الثقة بالنفس سبب عظيم من أسباب عدم التحصيل؛ فلا تحقرن نفسك إن كنت ضعيفًا في الحفظ، أو الفهم، أو بطيء القراءة.

---

[1] قلتُ - أنا محمد -: لعمري قد ضاع أعمار كثير من الشباب في زماننا في شبكات مواقع التواصل بحجة التعرف على الواقع.

المعوق العاشر: التسويف:

والمراد به: أن يأمل العبد أن يقضي ذلك الأمر بعد حين من عمره.

قال ابن القيم: «إنَّ المُنى رأس أموال المفاليس»[1]

وقال الحسن: «إياك والتسويف؛ فإنك بيومك ولست بغدك، فإن يكن غدًا لك فكن في غد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن غد لم تندم على ما فرَّطت في اليوم».

وقال الشاعر:

وَلَا تُرجِ عَمَلَ اليَومِ إِلَى غَدٍ لَعَلَّ غَدًا يَأْتِي وَ أَنْتَ فَقِيدُ

وكتب محمد بن سمرة إلى يوسف بن أسباط برسالة، وقال فيها: «وَبَادِرِيَا أَخِي فَإنك مبادَر بك، وأسرع فإنك مسروع بك، وجدَّ فإن الأمر جدٌّ، وتيقظ من رقدتك و انتبه من غفلتك، وتذكر ما أسلفت وقصّرت وفرّطت وجنيت وعملت، فإنه مثبت محصى، فكأنك بالأمر قد بغتك فاغتبطتَ بما قدمت، أو ندمت على ما فرّطت»[2]

س: ما الرأي في بعض طلبة العلم الذين يسوّف آجالًا، ويقول: سأبدأ في حفظ المتن الفلاني في يوم كذا، وسأبدأ في قراءة الكتاب الفلاني بعد كذا؟

الجواب: هذا فيه تفصيل، فعندنا حالتان:

أ- إن كان مشغولًا في وقته هذا بالطلب؛ فهو على خير.

ب- إن كان قصده أنه سيبدأ في اليوم الفلاني؛ فهذا لا شك أنه من تلبيس إبليس.

شواهد على أهمية استغلال الوقت:

---

[1] ابن القيم، «مدارج السالكين»: (456)

[2] الخطيب البغدادي، «اقتضاء العلم العمل»: (114).

الأول: قال الوزير يحيى بن هبيرة:

وَالْوَقْتُ أَنْفَسُ مَا عُنِيتَ بِحِفْظِهِ وَأَرَاهُ أسْهَل مَا عَلَيكِ يَضِيعُ

الثاني: قيل في عبد الله بن أحمد: «والله ما رأيته إلا مبتسمًا أو قارئًا أو مطالعًا».

الثالث: قال دواد بن أبي هند: «كنتُ و أنا غلام أختلف إلى السوق، فإذا انقلبت إلى البيت جعلت على نفسي أن أذكر الله إلى مكان كذا وكذا، فإذا بلغت إلى ذلك امكان جعلت على نفسي أن أذكر الله كذا وكذا...، حتى آتي المنزل»[1]

أوقات مهدرة عند بعض طلبة العلم:

الأول: الزيارات.

والناس فيها بين إفراط وتفريط، فالزيارات والاجتماعات تقوّي أواصر المحبة والأخوّة، وتزيد العبد إيمانًا بربه، لكن إن كانت عارية من الفائدة العلمية والتناصح؛ فإن تركها في غالب الأحيان قد يكون هو الواجب علينا.

الثاني: الاشتغال بأمور مفضولة:

بعض الناس إذا قرأ ساعة وشعر أنه استفاد؛ أخذ يروّح عن نفسه أضعاف وقت فائدته.

قال ابن أبي حاتم: سمعت المزني يقول: قيل للشافعي: كيف شهوتك للعلم؟ قال: أسمع بالحرف مما لم أسمعه فتودّ أعضائي أن لها أسماعًا تتنعم به مثل ما تنعمت الأذنان به.

فقيل له: كيف حرصك عليه؟ قال: حرصَ الجموع المنوع في بلوغ لذته للمال.

فقيل له: كيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلة ولدَها ليس لها غيره»[2]

الثالث: الأشرطة السمعية.

---

[1] الذهبي، «سير أعلام النبلاء»: (6/378)

[2] ابن أبي حاتم، «آداب الشافعي ومناقبه»: حاشية رقم (3)، ص (22).

وهي - والله - نعمة، لكن كثيرًا من الطلاب فرّطوا فيها، وسبب ذلك: عدم الاهتمام بترتيب الوقت، ومن أحسن انتقاء الأشرطة، ورتّب وقتًا لسماعها في سيارته أو منزله، لوجد في ذلك خيرًا كثيرًا.

الرابع: بين الأذان والإقامة.

كثير منا فرّط في استغلال الوقت بين الأذانين، ولو استغل هذه الأوقات لقراءة القرآن الكريم، سواء مراجعة أو حفظًا، ومن أسباب عدم استغلال هذا الوقت: التأخر عن الذهاب إلى المسجد.

قال يحيى بن معين عن إبراهيم بن ميمون: «كان نجارًا وكان إذا رفع المطرقة وسمع الأذان، لم يردّها مرة ثانية، وإنما بادر للذهاب للمسجد».

الخامس: القراءة الحرة.

نستطيع أن نشغل أوقاتنا الضائعة بالقراءة الحرة، فيجعل الإنسان من وقته شيئًا يسيرًا في منزله يقرأ فيه، وحدد كتابًا أو كتابين تقرأهما، أو ابحث مسألة واكتبها.

من آداب طالب العلم

طالب العلم بحاجة إلى آدابٍ يتخلق بها، بحاجة أن يقتفي أثر السلف الصالح في تحصيلهم للعلم، وفي أدبهم مع العلم المحصَّل، وليس النقص في الكتب، لكن العلم نور يقذفه الله في القلب، وليس بكثرة القراءة فحسب، ولا بكثرة اقتناء الكتب.

قال الدرامي: «إن العلم ليس بكثرة الرواية، ولكنه نور يقذفه الله في القلب، وشرطه: الاتباع، والفرار من الهوى والابتداع»، وعلى الإنسان إن لم يكن عنده علم في مكانه: أن يرحل لطلب العلم، وفي هذا إحياء لمعلم و أثر من آثار السلف، وشحذ للهمم.

حلقات العلم:

إن فرطنا في حلقات العلم التي يرعاها ثلة من أهل العلم سيأتِ يوم نندم على هذا التفريط، وقد كان السلف يتحسرون على فوات شيخ عاصروه، لكنهم لم يأخذوا عنه شيئًا.

قال عبد الله بن داود الخريبي: «كان سبب دخولي البصرة لأن ألقى ابن عون، فلما صرت إلى قناطر بني دارا، تلقاني نعي ابن عون؛ فدخلني ما الله به عليم»، فعلى طالب العلم أن يستغل حياة العلماء وينهل من معينهم قبل أن يقع الأمر - وهو سنة ماضية -، قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إنّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبادِ، ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلَماءِ، حتّى إذا لَمْ يُبْقِ عالِمًا اتَّخَذَ النّاسُ رُؤُوسًا جُهّالًا، فَسُئِلُوا فأفْتَوْا بغيرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا»[1]

قال عبد الله الشافعي المراغي:

[1] رواه البخاري: (100)، ومسلم: (2673).

إذَا رأيتَ شبابَ الحَيِّ قَد نشأوا

لَا ينقلونَ قِلال الحبر والورَقا

ولا تراهمْ لدى الأشياخِ في حِلَقٍ

يَعون من صالحِ الأخبارِ ما اتّسقا

فدعهم عنك واعلم أنهم همجٌ

قد بدّلوا بعلوّ الهمّة الحُمْقَا.

الأمور التي ينبغي أن تُراعى للاستفادة من حلقات العلم:

الأول: الإخلاص.

فلا ينبغي أن يشوب ذلك شائبة من رياء أو سمعة، وقليل من يَسلَم، خاصة إذا فاق أقرانه في التحصيل، وقد ذكر بعض أهل العلم: أن طالب العلم قد يجد عنتًا ومشقة في مجاهدة نيته، لكنه مأجور إذا بذل ما يستطيع في تقويم هذه النية.

الثاني: الحرص على حضور حلقات العلم، والمداومة على ذلك.

لا ينبغي أن نفتر ونكسل في حضور حلقات العلم؛ فإن الجهل كثير والعلم قليل، وكلما واظبت على حضور الدروس فاحمد الله واسأله التوفيق، واعلم أن الحرص لولا فضل الله عز وجل وتوفيقه لما نفعك اجتهادك.

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتَى

فَأَكْثَرُ مَا يَجْنِي عَلَيهِ اجْتِهَادُهُ

قال الإمام أحمد: «إنما العلم مواهب يؤتيه الله مَن أحبّ مِن خلقه، وليس يناله أحد بالحسب، ولو كان لعلة الحسب لكان أولى الناس به أهل بيت النبي - صلى الله عليه وسلم -».

والنفس كالطفل إذا عوّدتها الخير اعتادت، وإذا عودتها الشر اعتادت.

وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى

حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

الثالث: الحرص على التبكير إلى الحلقة.

بالمثابرة على الحضور والتبكير، تكون الفائدة أشمل، ويكون النفع أعم وأكثر، قيل للشعبي: من أين لك هذا العلم كلّه؟ قال: «بِنَفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الحمار، وبكور كبكور الغراب».

الرابع: استدراك ما يفوت من الدرس.

قد يعرض لنا عارض ويطرأ طارئ، فيتخلف أحدنا عن الدرس، فاحذر كل الحذر أن تفرط فيه، واحرص على تحصيل ما فاتك من أقرانك، ومن فضل الله علينا التسجيلات التي تُحفظ بها الدروس.

الخامس: تعليق الفوائد على الكتاب، أو في دفتر خارجي.

هذه الفوائد إذا حرص الإنسان على تقييدها، وعلى مراجعتها مرة بعد مرة؛ فإنها بإذن الله تُكون عنده ملكة في الكلام والتحضير.

فائدة: إذا اشتريت كتابًا فلا تدخله مكتبك إلا بفحص عام، ومن هذا الفحص العام تعرف اسم المؤلف، والمباحث التي احتوى عليها الكتاب بالرجوع إلى فهارس الكتاب، وتصفح بعض موضوعاته؛ فإنه يعطيك ملكة أن تحيط بكل كتاب تشتريه.

فائدة: إذا قرأت - مثلًا - كتابًا في الرؤى والأحلام، ثم قرأت كتبًا أخرى متنوعة، ومن هذه الكتب استخرجت فوائد تتعلق بالرؤى والأحلام؛ فاحرص كلّ الحرص على أن تُفرّغ هذه الفوائد من جميع هذه الكتب بأرقام الصفحات فقط، على الغلاف الداخلي لكتاب الرؤى والأحلام.

السادس: الإنصات وعدم الانشغال في حِلَق العلمِ.

قال أحمد بن سنان: «كان لا يتحدث في مجلس عبد الرحمن - أي: عبد الرحمن بن مهدي -، ولا يبرى قلم، ولا يبتسم أحد، ولا يقوم أحد قائمًا، كأن على رؤوسهم الطير، أو كأنهم في الصلاة، فإذا رأى أحدًا

منهم تبسم أو تحدث، لبس نعله وخرج»

السابع: حضور ما يُستطاع من حلقات العلم.

الثامن: الحذر من اليأس.

قد يحضر بعضنا عند شيخ مدّة طويلة، ولم يفهم إلّا اليسير، لكنّ مع هذا كلّه، العلم كلما كرره الإنسان، وكلما استرجع قراءته ومذكراته، زال الإشكال عنه، قال الإمام أحمد: «مكثتُ في كتاب الحيض تسع سنين حتى فهمته».

ذكر الشيخُ الشنقيطي - رحمه الله - أن شيخه شرح مسألة من المسائل، ولم تتضح له، قال: «فلم تتضح لي المسألة، فرجعت إلى منزلي، وبحثت وما زلت أبحث، والخادم قائم على رأسي بالمصباح أو بالشمعة، ولا أزال أبحث وأشرب الشاهي الأخضر، حتى مر ثلاثة أرباع اليوم، إلى أن طلع فجر ذلك اليوم، قال: فزال عني الإشكال، واكتفيت عن حضور درس الشيخ في اليوم الآخر في مقابل ما حصّلت من العلم».

التاسع: عدم مقاطعة الشيخ في درسه.

العاشر: الأدب في طرح السؤال على الشيخ.

الحادي عشر: الاكتساب من خلق الشيخ.

مسائل في القراءة

الأولى: قراءة كتب الحث على طلب العلم:

إذا بدأ الإنسان وشرع في طلب العلم، فلا بد له من أشياء تشحذ همته، وتقوي عزيمته، وليس هناك - بعد توفيق الله ثم قراءة النصوص الشرعية في هذا الباب - أفضل مما روي عن السلف الصالح.

الثانية: قراءة تراجم أهل العلم.

الثالثة: تسجيل الفوائد على غلاف الكتاب من الداخل.

الرابعة: جمع الفوائد إذا فرغ من قراءة عدة كتب.

الخامسة: قراءة المواضيع والمناسبات الموسمية قبل أوقاتها.

السادسة: الحرص على شراء الكتب المفردة في المسائل الفقهية الخاصة، مثل كتاب متعلق بالوتر، وآخر متعلق بالاعتكاف.

السابعة: محاولة فهم الكتاب ولو استدعى ذلك إعادة قراءته مرة أو مرتين:

الثامنة: اختيار أوقات القراءة.

التاسعة: تصفح الكتاب عند شرائه والتأكد من سلامة طبعه وأوراقه.

قضيتان مهمتان في طلب العلم

القضية الأولى: الأولويات في الطلب

لا شك أن همة طالب العلم مطلوبة، لكنها قد يعتريها خورونقص إذا سار صاحبها في مسار غير صحيح، وبعض الطلبة يُخطئ فيحمّل نفسه ما لا تُطيق، فيحاول أن يصل إلى نتيجة كبيرة في مدة قصيرة، فإذا لم تتحقق تكون لديه آثار عكسية في مسار طلبه للعلم، ومن استعجل الشيء قبل أوانه قد يُعاقب بحرمانه، ومما يُعاب به طالب العلم أن يوغل في أمر ويترك ما هو أهم منه.

جاء الإمام ابن وهب إلى مالك بن أنس فقال: «ما تقول في طلب العلم؟ قال: حسن جميل، لك انظر الذي يلزمك من حين تصبح إلى أن تمسي فالزمه».

القضية الثانية: أمثلة لشحذ الهمم في طلب العلم

الأول: الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، لو قُسِّمتْ الأوراق التي كتبها على عمره منذ أن خُلق، لأصبح مقدار ما يكتبه كل يوم ستين ورقة أو أكثر!، أشار يومًا على تلاميذه أن يكتبوا تاريخ الإسلام، فأمر بإحضار ثلاثين ألف ورقة! فقالوا: «هذه مدة تنقطع دونها رقاب المطيّ»، فقال لهم معاتبًا: «الله أكبر!، ماتت الهمم، أحضروا ثلاثة آلاف ورقة!».

الثاني: الإمام الحافظ ابن حجر، ذكر عن نفسه أنه تتبع طرق حديث «إنما الأعمال بالنيات» في أكثر من مائة جزء، وقرأ «معجم الطبراني الصغير» في جلسة ما بين الظهر والعصر!.

الثالث: قال أبو الفضل بن نبهان الأديب: «رأيت الحافظ أبا العلاء في مسجد من مساجد بغداد يكتب وهو قائم على رجليه؛ لأن السراج كانت عالية».

الرابع: طالع عبد الله بن محمد فقيه العراق كتابَ «المغني» ثلاثًا وعشرين مرة.

الخامس: محمد بن أحمد بن قدامة، كتب بخطّه أشياء كثيرة: فكتب «تفسير البغوي»، و«المغني»، و«حلية الأولياء»، و«الإبانة» لابن بطة، وكتب مصاحف كثيرة.

السادس: قال خلف بن هشام: «أشكل عليَّ بابٌ من النحو، فأنفقت فيه ثمانية آلاف درهم حتى حذقته .«

السابع: قال عمرو بن ميمون: «لو علمتُ أنّه بقي عليّ حرفٌ من السُّنة باليمن لأتيتها»

طالب العلم والحسد

الحسد في طلب العلم آفة من آفات العلم، بل إن هذه القضية تمحق بركة العلم، فالحسد في طلب العلم بين الأقران يُفسد على طالب العلم طريقه في الطلب، وقد قال الله تعالى: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا﴾ [النساء ٥٤]، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لا تحاسدوا»[1]، والحسد كالزرع ينمو كُلّما سُقي، ويزداد أمره كلما غفل عنه صاحبه، وعداوة الحسد أشد تأصّلًا في النفس من عداوة غير الحسد:

قال الشاعر:

كُلُّ العَدَاوَاتِ قَدْ تُرْجَى مَوَدَّتُهَا

إِلَّا عَدَاوَةِ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدِ

وقال شيخ الإسلام: «ولهذا يُقال: ما خلا جسد من حسد، ولكن الكريم يُخفيه واللئيم يبديه».

وقال الشاعر:

أَلَا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِدًا

أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتَ الْأَدَبْ

أَسَأْتَ عَلَى اللَّهِ فِي فِعْلِهِ

لِأَنَّكَ لَمْ تَرضَ لِي مَا وَهَبْ

---

[1] رواه مسلم: (2653).

علامات الحاسد:

الأولى: أن يفرح بخطأ قرينه.

الثانية: أن يفرح بغياب قرينه، أو بعدم حضوره في أمر ينازعه فيه، أو يُقاسمه فيه.

الثالثة: أن يُسرّ إذا لُمز قرينه أو ثُلِبَ، ويجد في قلبه راحة نفسية.

الرابعة: أن يُعرِّض بقرينة إذا سُئل عنه.

الخامسة: أن يجد حرجًا في نفسه وتضايقًا إذا وُجّه سؤال إلى غيره، أو طُلب من قرينه الكلام بحضوره.

السادسة: أن يُقلل من شأن العلم الذي يأتي به القرين.

السابعة: أن يحاول تخطئة كلام قرينه إذا تكلَّم، ونَقْده إذا أجاب.

الثامنة: عدم عزو الفضل إليه، وعدم عزو الفائدة إليه.

إِذَا أَفَادَكَ إِنْسَانٌ بِفَائِدَةٍ

مِنِ العُلُومِ فَأَدْمِنْ شُكْرَهُ أَبَدَا

وَقُلْ فُلَانُ جَزَاهُ اللَّهُ صَالِحَةً

أَفَادَنِيهَا وَأَلْقِ الكِبْرَوَالحَسَدَا

دواء الحسد:

أوّلًا: الدعاء للقرين بظهر الغيب.

ثانيًا: محاولة التحبب له والسؤال عن حاله وحال أهله.

ثالثًا: زيارته وإظهار ما له من الفضل.

رابعًا: عدم السماح أو الرضا بغيبته وهمزه ولمزه.

خامسًا: إيثاره على نفسك بتقديمه.

سادسًا: استشارته وطلب نصيحته.

أمثلة على توقير السلف لبعضهم وتركهم الحسد:

الأول: عمر بن الخطاب.

مع علو منزلة عمر، وعظيم أمره في الإسلام، ومع هذا كلّه كان يستفتي عليَّ بن أبي طالب - رضي الله عنه -.

الثاني: روى ابن أبي الدنيا في كتاب «الصمت»: أن سعدًا وخالدًا - رضي الله عنهما - كان بينهما كلام، فذهب رجل يقع في خالد عند سعد فقال: مه! إن ما بيننا لم يبلغ ديننا.

الثالث: قال يونس الصدفي: «اختلفت أنا والشافعي في مسألة، فافترقنا ثم تلاقينا بعد ذلك، فأخذ الشافعي بيدي وقال: يا فلان، أيمنعنا إن اختلفنا في مسألة أن نكون إخوانًا؟ قال: فما رأيت أعقل منه».

الرابع: الفرَّاء.

قال سلمة: «إني لأعجب من الفرَّاء كيف يُعظّم الكسائي وهو أعظم وأكبر منه علمًا وسنًّا؟!».

الخامس: سفيان بن عيينة.

سُئل سفيانُ عن مسألة وكان معه الإمام ابن وهب شيخ مصر، فسأل السائل السائل ابن عيينة، ففطن ابنُ عيينة أن معه عالمًا آخر، فوجّه السؤال إليه، وقال: هذا شيخ أهل مصر يخبر عن مالك بكذا.

طالب العلم مع نفسه

من أنفع الأمور لمعرفة مكامن النقص والخطأ، ومن ثَمَّ معالجتها - بعد توفيق الله تعالى - محاسبةُ العبد نفسه، وعدم التماس الأعذار الواهية في سبيل تبرير أخطائه؛ لأن ذلك مما يزيد رسوخ الأخطاء، وقد قيل: «لا يكون الرجل تقيًا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه، وحتى يعلم من أين ملبسه ومطعمه وشرابه»، ومن الأمور التي جعلت بعض الناس بعيدين عن محاسبة أنفسهم: مدح الناس للشخص وثناؤهم عليه، حتى يرى نفسه كاملًا أو مقاربًا للكمال، وقد قيل: «العاقل من عرف نفسه، ولا يغرّه مدحُ مَن لا يَخبُرُها»، وثناء الناس لا يخلو من أحد أمرين:

أ- أن يكون دافعًا إلى الخير؛ إذا صدق في شكره لله تعالى على ما أنعم عليه، وزاد مضاعفة الجهد ابتغاء مرضاة الله.

ب- أن يكون مانعًا من الخير؛ إذا جعل مدح الناس مطيّة له إلى التصدّر في المجالس، ومن ثَمّ الترفّع على الآخرين.

من الأمور المعينة على صدق المحاسبة:

أوّلًا: صدق دعاء الله تعالى.

ثانيًا: الحرص على أن يكون خاليًا من الشواغل والطوارق عند محاسبته لنفسه.

ثالثًا: قبول النصح إذا كان الناصح محقًّا.

رابعًا: طلب النصح من أهل العلم والصلاح.

خامسًا: أخذ العبرة والاستفادة من أخطاء الآخرين.

ومن المراجع في ذلك كتاب: «محاسبة النفس» لابن أبي الدنيا.

طالب العلم في المسجد

إن مما يُحمد للمسلم عامة، ولطالب العلم خاصة: حرصه على أن يكون من السبّاقين إلى الجمعة والجماعة، والمحافظة على الصف الأول، ويتأكد هذا الحرص في طالب العلم؛ لكونه قدوة للآخرين، وحتى يُطابق فعلُه قولَه.

كان يحيى القطان إذا ذُكر الأعمشُ قال: كان من النسّاك، وكان محافظًا على الصلاة في جماعة، وعلى الصف الأول، وهو علامة الإسلام».

وقال وكيع بن الجراح: «كان الأعمش قريبًا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى».

ومما ينبغي لطالب العلم أيضًا: أن يقدّم ما يستطيع من النفع العلمي والوعظي لجماعة مسجده، ومن ذلك:

أ- قراءة فتاوى العلماء الموثوقين.

ب- طرح بعض المسائل العلمية.

جـ- قراءة ما يتعلق بالنوازل عند وقتها، وكذا العبادات الحولية في وقتها.

ومما يؤخذ عن بعض الأئمة:

أ- سوء الخلق مع جماعة مسجده، مما يورّث في قلوبهم بغضه وعدم تقبّل ما يقول.

ب- التوسّع في التبذّل مع الناس، مما يجعله موضع السخرية إذا وعظ جماعته أو علّمهم، ويُستبعد ممن كان شأنه هذا أن يكون مصدروعظ وتعليم.

طالب العلم في منزله

طالب العلم كالغيث؛ أينما حلّ نفع، وأطول مكثه في منزله؛ لذا لزامًا أن يكون نفعه واضحًا جليًّا في منزله، ومما ينبغي أن يحرص عليه:

أ- تفقد أهله فيما يحتاجون إليه من مسائل العلم.

ب- تعليم الصغار قولًا وفعلًا.

ج- الحرص على تطبيق السنة.

د- الحذر من سوء الخلق، وعدم إظهار المودة والتحبب.

من الشواهد على أهمية الحرص على الأهل والصغار:

أ- ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن ثلاثة لهم أجران، وذكر منهم: «وَرَجُلٌ كَانَتْ عنده أمةٌ فأدّبها فأحسن تأديبها، وعلّمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها؛ فله أجران»[1]

ب- عن مالك بن الحويرث - رضي الله عنه - قال: أتَيْتُ النبيَّ ﷺ في نَفَرٍ مِن قَوْمِي، فأقَمْنا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وكانَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمّا رَأى شَوْقَنا إلى أهالِينا، قالَ: «ارْجِعُوا فَكُونُوا فيهم، وعَلِّمُوهُمْ، وصَلُّوا، فإذا حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أحَدُكُمْ، ولْيَؤُمَّكُمْ أكْبَرُكُمْ»[2]

ج- قال ابنُ عمرَ- رضي الله عنهما -لرجل: «أدّب ابنك؛ فإنك مسؤول عن ولدك ما علّمتَه، وهو مسؤول عن برّك وطاعته لك»

د- قَال بعضُ الشعراء:

---

[1] أخرجه البخاري: (97)، ومسلم: (154).

[2] أخرجه البخاري (٦٢٨)، ومسلم (٦٧٤)

إِنَّ الغُصُونَ إِذَا قَوَّمْتَهَا اعْتَدَلَتْ

وَلَا يَلِينُ إِذَا قَوَّمْتَهُ الْخَشَبُ

قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَحْدَاثَ فِي صِغَرٍ

وَلَيسَ يَنْفَعُ عِنْدُ الشَّيبَةِ الْأَدَبُ

ولا بد من الحذر من بعض الأخطاء التربوية الشنيعة، والتي منها:

أ- الكذب أمام الأولاد.

ب- إخافة الأولاد عند تأديبهم بأمور وهمية أو حسية لا فائدة للطفل فيها.

طالب العلم والسهر

مسألة السهر من المسائل الحقيقة بأن يُطرق موضوعها، ويتبين ذلك بأمور كثيرة، منها:

أوّلًا: أن السهر مما تعمّ به البلوى.

ثانيًا: أن السهر منهي عنه إذا كان على محرّم، أو كان سببًا في تضييع صلاة الفجر.

ثالثًا: التثاقل عن صلاة الوتر بسبب التعب.

قال عمرُ بن الخطاب: «لأن أشهد صلاة الصبح في الجماعة أحب إليّ من أن أقوم ليلة».

رابعًا: أن السهر جزء من الوقت الذي سُيسأل عنه يوم القيامة.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لَا سَمَرَ إلّا لِمُصَلٍّ أو مُسافر»[1]، لكن السمر بعد العشاء جائز إذا كان في العلم، أو مما يُجدي نفعًا على المسلمين، قال عُمر - رضيَ اللهُ عنه -: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يزال يسمر عند أبي بكر الليلة في الأمر من أمور المسلمين، و إنه سمر عنده ذات ليلة و أنا معه»[2]، ومما ورد عن السلف في سهرهم مشتغلين بما ينفعهم: قال فضيل بن غزوان: «كنا نجلس أنا و ابن شُبْرمة والحارث بن يزيد العلكي، والمغيرة، والقعقاع بن يزيد بالليل نتذاكر الفقه، فربما لم نقم حتى نسمع النداء للفجر».

---

[1] رواه أحمد: (4244).

[2] رواه ابن حبان: (2034).

طالب العلم مع طلابه

لطالب العلم منزلة عند مَن يتردد عليه من الراغبين في العلم، فهو شيخهم، وبقدر ما يكون عليه من الصفات الحسنة بقدر ما ترتفع منزلته عندهم، وعلى هذا؛ فليحرص طالب العلم أن يكون قدوة بقوله وفعله، ومن أنفع الأمور لهم:

أ- تعاهدهم بالنصح والتوجيه.

ب- تفقد أحوالهم وشؤونهم إذا استطاع إلى ذلك سبيلًا.

ج- زيارته لهم في بيوتهم.، وإجابة دعوتهم حسب قدرته.

د- الحذر من الأمور التي تقلل هيبته أو تزيلها؛ ككثرة المزاح.

هـ- الحرص على زيارة مريضهم.

و- ترغيبهم في طلب العلم والمداومة على ذلك.

وعليه:

- تمثّل أخلاق أهل العلم من حيث: التواضع وعدم الإصرار على الخطأ، واتّساع الصدر لسماع ملاحظات طلابه.

- الحذر من إظهار الضيق والتبرم لأحد من طلبته، فقد يحدث أن يبدر من بعض الطلبة أو من أحد منهم سوء أدب في حق الشيخ، أو تخطئة له في مسألة؛ فيجد الشيخ عليه في نفسه، وتكون معاملته لذلك الطالب فيها نوع جفاء، وهذا قد ينعكس أثره على الطالب فيحدث له ما لا تُحمد عقباه، من هجر للعلم وحلقاته.

طالب العلم في مجتمعه

يُعدّ طالبُ العلم قدوة في جميع تصرّفاته؛ لذا كان لزامًا عليه أن يجعل ذلك دائمًا نصب عينيه، وأن يسأل اللهَ التوفيق في الأمورِكلّها، وأن يجعل له القبول؛ لأن نعمة قبول الناس للعبد من عاجل بشرى المؤمن، وفيها من المصالح: قبول الناس لعلمه ووعظه.

وهناك أمورلا بد من الإشارة لها:

أوّلًا: سلامة القلب.

قال يحيى بن معين: «أخطأ عفان في نيّف وعشرين حديثًا، ما أعلمت بها أحدًا، وأعلمته سرًّا، ولقد طلب إليّ خلف بن سالم أن أخبره بها فما عرّفته، وكان يحب أن يجد عليه».

ثانيًا: قضاء حوائج الناس.

قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا»[1]

قال الحسن بن سهل - من أصحاب الإمام أحمد -:

فُرِضَتْ عَلَيَّ زَكَاةُ مَا مَلَكْتْ يَدِي

وَزَكَاةُ جَاهِي أنْ أَعِينَ وَأَشْفَعَا

فَإِذَا مَلَكْتَ فَجُدْ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ

فَاجْهَدْ بِوِسْعِكَ كُلِّهِ أَنْ تَنْفَعَا

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «واللهُ في عَونِ العَبْدِ مَا كانَ العَبْدُ في عَونِ أَخِيهِ»[2]

ثالثًا: إخلاف الوعد.

---

[1] رواه البخاري: (1432).

[2] رواه مسلم: (6793).

قال الله تعالى عن إسماعيل - عليه السلام -: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ [مريم ٥٤]، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «آيَةُ المُنافِقِ ثَلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وعَدَ أخْلَفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خانَ»[1]

ومن آثار إخلاف الوعد: استبدال المودة بالبعض، روي عن سليمان بن داود - عليهما السلام - أنه قال لابن له: «يا بني، إذا وعدت فلا تخلف، فتستبدل بالمودة بغضًا».

قال الشاعر:

إِذَا قُلْتَ فِي شَيءٍ نَعَمْ فَأَتِمَّهُ

فَإِنَّ نَعَمْ دَينٌ عَلى الحُرِّوَاجِبُ

وَإِلَّا فَقُلْ لَا وَاسْتَرِحْ وَأَرِحْ بِهَا

لِئَلّا يَقولُ النَّاسُ: إِنَّكَ كَاذِبُ

رابعًا: الحِلم ولين الجانب

قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف ١٩٩]

خاصمَ رجلٌ الأحنفَ فقال: «لئن قلتَ واحدة لتسمعنّ عشرًا»، فقال الأحنف: «لكنّك إن قلتَ عشرًا لم تسمع واحدة».

خامسًا: الحذر من خوارم المروءة:

وذلك؛ لأنها من أسباب ذهاب الهيبة، ومن ثم جرأة العوام عليه، وتنقصهم له واستخفافهم به.

قال الشافعي - رحمه الله -: «والله لو علمتُ أن الماء البارد يثلم من مروءتي شيئًا ما شربت إلّا حارًا».

سادسًا: التواضع:

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله»[2]، وقال: «إنّ اللهَ أوْحى إلَيَّ أنْ

---

[1] رواه البخاري: (33)، ومسلم: (59).

[2] رواه مسلم: (2588).

تَواضَعُوا حتّى لا يَفْخَرَ أحَدٌ على أحَدٍ، ولا يَبْغِي أحَدٌ على أحَدٍ»[1]

قال ابن القيم: «التواضع: انكسار القلب لله، وخفض جناح الذل والرحمة للخلق، حتى لا يرى له على أحدٍ فضلًا، ولا يرى له عند أحد حقًا بل والحق له».

قال رجل لميمون بن مهران: «يا أبا أيوب، ما يزال الناس بخير ما أبقاك الله لهم، فقال ميمون: أقبل على شأنك، ما يزال الناس بخير ما اتقوا ربهم».

قال سعيد الزبيدي: «لا يعجبني من القرّاء كلّ مضحاك ألقاه بالبشر ويلقاني بالعبوس، يمنّ عليّ بعبادته، لا أكثر الله في القرّاء مثل هذا»، ويقابل ذلك: الإفراط في التبسم مع كل أحد؛ لا يُحمد لصاحبه، قال الشافعي ليونس بن عبد الأعلى: «يا يونس، الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط».

قال جرير بن عبد الله - رضي الله عنه: عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ولا رَآنِي إلّا تَبَسَّمَ»[2]

سابعًا: وضوح الكلام قدر الإمكان - خاصّة مع العوام - وعدم استعمال العبارات الغامضة:

لأن ذلك مما يستعصي على أفهامهم، قال الأصمعي: «كنت إذا سمعت أبا عمرو بن العلاء يتكلّم، ظننته لا يعرف شيئًا، كان يتكلّم كلامًا سهلًا».

ثامنًا: الانبساط للناس ورحابة الصدر:

وثمرة ذلك: قبول نصحه وتعليمه، فعلى طالب العلم أن يحتسب وأن يحاول أطر نفسه على التحمّل، ولن يسمع إلا خيرًا بإذن الله.

تاسعًا: نشر العلم والفائدة بينهم، في وقت يراه مناسبًا لذلك:

---

[1] رواه مسلم: (2865).

[2] رواه البخاري: (6089).

والحذر من الفتور أو التخلي عن ذلك بحجّة قلّة المستفيدين والراغبين، فربما ينفع الله بذلك القليل نفعًا عظيمًا.

طالب العلم عند شرائه الكتاب واقتنائه

شغف طالب العلم باقتناء الكتب أمر مسلّم، وهم في ذلك ما بين مستقل ومستكثر، وهناك أمور لا بد من التنبيه عليها في هذا الباب.

بعض الأمور المعينة للطالب عند شراء الكتب:

أوّلًا: استشارة بعض المشايخ أو طلبة العلم المشهود لهم قبل اقتناء الكتاب المراد شراؤه.

ثانيًا: إذا كان الكتاب شرحًا لكتاب معين فينبغي التأكد من أمرين:

أ- هل هناك شروح أخرى للكتاب؟

ب- إن كانت له شروح أخرى؛ فأيّها أجمع وأكثر علمًا؟.

ثالثًا: الحرص على أجود الطبعات، والأجود تحقيقًا.

رابعًا: مطابقة رقم الجزء المكتوب على الغلاف الخارجي على الرقم الداخلي؛ للتأكد من مطابقة الترقيم.

خامسًا: محاولة التصفح السريع لصفحات الكتاب؛ خشية وجود بياض في بعض الصفحات.

سادسًا: الحرص على النسخة المجلدة وذات الخط الواضح.

سابعًا: تصفح فهارس الكتاب؛ لمعرفة محتواه إجمالًا.

ثامنًا: عدم إهمال الكتاب، برمي أو اتكاء عليه، أو ما شاكل ذلك.

تاسعًا: الاتصال بالمكتبات ودور النشر؛ للسؤال عن وجود الكتب، ومعرفة تفاوت الثمن؛ ليتوفر بذلك أمران: حفظ الوقت، وحفظ بعض المال.

عاشرًا: الحذر من شراء الكتب بقصد التكثّر بها، وملء الأدراج في منزله؛ ليراها الناظرون ليس إلّا!.

طالب العلم واستعارة الكتب

من سبل نشر العلم: إعارة الكتاب لمحتاجه والمستفيد منه، قال محمد بن مزاحم: «أول بركة العلم: إعارة الكتب».

ضوابط إعارة الكتب:

الأول: أن يكون الكتاب نافعًا غير ضار، إلا إذا كان المستعير ممن يعرف ضرر الكتب، وإنما استعاره لتبيين ضرره أو للرد عليه.

الثاني: أن يكون مالك الكتاب غير محتاج له وقت الإعارة.

الثالث: أن يكون المستعير أهلًا للإعارة.

الرابع: إذا كان للكتاب نسختان، وكان المستعير ممن يجهل قيمة الكتاب، فأعطه النسخة الرديئة.

الخامس: إذا رأيت من المستعير إهمالًا للكتاب أو تأخرًا في إرجاعه؛ فاحذر من إعارته مرة أخرى.

السادس: جعل دفتر خاص للاستعارة، يُكتب فيه: اسم المستعير، والكتاب المسُستعار، وتاريخ الاستعارة.

السابع: على المستعير الحرص على حفظ الكتاب مدة بقائه عنده، والمبادرة بردّه إذا قضى حاجته منه، وليحذر من الكتابة على صفحاته إلّا بإذن صاحبه.

آداب استعارة الكتب:

أوّلًا: توقير الكتاب والاهتمام بنظافته.

ثانيًا: ألا يُرجِع الكتاب متغيّرًا متكسّرًا مهملًا.

ثالثًا: حفظ الكتاب من الفقد؛ فإن فقده من كبائر الاستعارة، ولا يحق لمن فعلها أن يُعار بعد ذلك.

طالب العلم وحفظ القرآن

كان حفظ القرآن عند أهل العلم من الأساسيات التي يبدأ بها طالب العلم؛ فأصبح حفظه سمة بارزة في مجتمع أهل العلم وطلبته، بل إن بعضهم كان يُعاب بعدم حفظه، قال ابن حجر في ترجمة عثمان بن أبي شيبة: «ثقة حافظ شهير، وله أوهام، وقيل: كان لا يحفظ القرآن».

وحفظ القرآن ليس واجبًا على طالب العلم، لكنّ من فضائل ذلك:

أ-أن حفظه مفتاح لطريق الحفظ والفهم، وهذا مُشاهد في طلبة العلم الحافظين له.

ب- أن حفظ القرآن والعمل به مما يزيده رفعة وعلوًّا، فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إنّ اللهَ يَرْفَعُ بهذا الكِتابِ أقْوامًا، ويَضَعُ به آخَرِينَ»[1]

ج- التقديم في الدنيا.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يَؤُمُّ القَوْمَ أقْرَؤُهُمْ لِكِتابِ اللهِ»[2]

د- التقديم في البرزخ.

وشاهد ذلك: ما كان من أمر الصحابة عندما كثر القتلى عليهم يوم أحد؛ فاستأذنوا النبي - صلى الله عليه وسلم - في دفن الرجلين أو الثلاثة في القبر الواحد، فأذن لهم، فكانوا إذا جاؤوا بالأموات سأل النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أيهم أكثر أخذًا للقرآن؟» فإذا أُشير إلى أحدهم أُمر بتقديمه[3].

هـ- تقديمه وعلوّه في الآخرة.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يُقالُ لِصاحِبِ القُرآنِ يَومَ القيامةِ: اقْرَهْ وارْقَهْ، فإنّ مَنزِلَتَكَ

---

[1] رواه مسلم: (817).

[2] رواه مسلم: (673).

[3] رواه البخاري: (1353).

عِندَ آخِرِ آيةٍ تَقرَؤُها»[1]

من الأمور المعينة على حفظ القرآن الكريم:

أوّلًا: الإخلاص والدعاء.

ثانيًا: قراءة تفسير ما تريد حفظه من الآيات.

ثالثًا: القيام بما يحفظ في صلاة الليل.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا قامَ صاحِبُ القُرْآنِ فَقَرَأَهُ باللَّيْلِ، والنَّهارِ ذَكَرَهُ، وإذا لَمْ يَقُمْ به نَسِيَهُ»[2]

رابعًا: أن يكون الحفظ بالتلقي؛ لاحتمال الخطأ في قراءة بعض الآيات فتحفظها كذلك.

خامسًا: أن تكون القراءة أو الحفظ على نسخة واحدة؛ لأن الإنسان وهو يقرأ يتخيل موضع الآيات؛ فإذا اختلفت النسخ؛ فإن هذا مدعاة إلى التشتت.

سادسًا: تخصيص وقت للحفظ والمراجعة.

سابعًا: ترداد ما يُراد حفظه عشرات المرات قائمًا وقاعدًا وماشيًا.

ثامنًا: الحذر من المعاصي؛ فمن آثارها: نسيان العلم والحفظ.

تنبيه: ينبغي الحذر من دخول اليأس إلى قلبه بسبب طول مدة الحفظ، فلقد كان السلف يجلسون الزمن الطويل في حفظ السورة الواحدة وما يزيدهم ذلك إلا مثابرة وحرصًا.

تنبيه: احرص يا من أكرمك الله بحفظ القرآن كاملًا على مراجعة الحفظ وتعاهده، واحذر من التذرع بالأشغال والتسويف في أمر التعاهد، واجعل التعاهد أصلًا والأشغال عرضًا.

---

[1] رواه أحمد: (10087)

[2] رواه مسلم: (789).

طالب العلم والقول بلا علم

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء ٣٦]، وقال الله تعالى معاتبًا أهل الكتاب: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ﴾ [آل عمران ٦٦]، فالواجب على من جهل شيئًا أن يُمسك عن الخوض فيه، وليعلم أن هذا من مناقبه وليس من مثالبه، فهو دليل على عظم محله، وقوة دينه، ومن كلام أهل العلم في ذلك:

أ- قال ابن عباس - رضي الله عنهما - «إذا أخطأ العالم (لا أدري) أُصيبت مقاتله»

ب- قال الشيخ السعدي: «ومن أعظم ما يجب على المعلمين: أن يقولوا لما لا يعلمونه: الله أعلم، وليس هذا بناقص لأقدارهم، بل هذا مما يزيد قدرهم، ويُستدل به على كمال دينهم، وتحريهم للصواب».

جـ- قال عمر - رضي الله عنه -: «العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة ماضية، ولا أدري».

د- قا ل سفيان: «من فتنة الرجل إذا كان فقيهًا: أن يكون الكلام أحب إليه من السكوت».

هـ- قال الغزالي: «لو سكت مَن لا يعرف؛ قَلّ الاختلاف، ومن قصر باعُه، وضاق نظَرُه عن كلام علماء الأمة والاطّلاع عليه، فما له وللتكّلم فيما لا يدريه، والدخول فيما لا يعنيه؟ وحق مثل هذا أن يلزم السكوت؟».

ومن فوائد قول: «لا أعلم»:

أوّلًا: أن هذا هو الواجب عليه.

ثانيًا: إذا قال: «لا أعلم» فسرعان ما يأتيه علم ذلك من مراجعته أو مراجعة غيره.

ثالثًا: أن في ذلك دليلًا على ثقته وأمانته فيما يجزم به من المسائل.

رابعًا: تعليم المتعلمين وإرشادهم لهذه الطريقة الحسنة.

طالب العلم والإشاعة

ينبغي أن يكون لطالب العلم موقف متميّز عن تلك الإشاعات، وأن يربأ بنفسه أن يكون كالفضوليين الذين لاهمّ لهم إلا بثّ تلك الإشاعة، عند كلّ أحدٍ في كلّ مجلس، غير آبهين بحكم الإسلام في مثل هذا.

قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «كَفى بالمَرْءِ كَذِبًا أنْ يُحَدِّثَ بكُلِّ ما سَمِعَ»[1]

وقال إياس بن معاوية يوصي سفيان بن حسن: «احفظ ما أقول لك: إيّاك والشناعة في الحديث، فإنّه قلّما حملها أحد إلا ذلّ في نفسه وكذب في حديث»

والمقصود: أن طالب العلم ينبغي أن يكون مفتاحًا للخير، مغلاقًا للشر، ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

أمور على ناقل الإشاعة أن يتذكّرها:

أوّلًا: تقوى الله ومراقبته في كلّ ما يقول أو يفعل.

ثانيًا: تذكّر أنّه محاسب عن كلّ كلمة يقولها.

ثالثًا: أن يجعل قصده سليمًا لا لوث فيه، إن ابتلي بنقل تلك الإشاعة، فلا يستغل ترويج الإشاعة بدافع شخصي من نفسه، بقصد تشويه سمعة المنقول عنه وانتقاصه.

رابعًا: أن يوصي ناقل الإشاعة بالتروّي والتثبّت في كلّ ما يقول.

خامسًا: عدم التحدّث بالإشاعة كل أحد، دون تقييم للجليس أو المجلس؛ لأن من الجلساء والمجالس ما يكون سببًا في ترويج الإشاعة على وجوه مختلفة.

سادسًا: إن كانت الإشاعة حول شخص موسوم بالخير والصلاح، فينبغي أن تُحمل على المحمل الحسن، والتماس المعاذير له هو الأصل، إن كان للعذر مسوغ شرعي.

---

[1] رواه مسلم في «مقدمة صحيحه».

طالب العلم وقيام الليل

إن المتصفح لتراجم سلفنا الصالح ليعجب ويدهش مما يقرأ عن عبادتهم ومحافظتهم على النوافل، وكان هذا الحرص وغيره - بعد عون الله - معينًا لهم على فعل الخيرات، وترك المنكرات، ولا بدّ من تميّز طالب العلم بالخُلق والفضل والسمت، والحرص على أنواع العبادة؛ ليكون قدوة صالحة لمن رآه أو سمعه أو جالسه، قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: «ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبورعه إذا الناس يخلطون، وبتواضعه إذا الناس يختالون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون».

من خصائص صلاة الليل:

أوّلًا: أنها أفضل الصلاة بعد المكتوبة.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أَفْضَلُ الصَّلاةِ، بَعْدَ الصَّلاةِ المَكْتُوبَةِ، الصَّلاةُ في جَوْفِ اللَّيْلِ»[1]

ثانيًا: أنها شرف المؤمن.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «شرَفُ المؤمنِ قيامه بالليل»[2]

ثالثًا: أنها من دأب الصالحين.

رابعًا: أنها قربة إلى الله تعالى.

خامسًا: أنها منهاة عن الإثم.

سادسًا: أنها تكفير للسيئات.

---

[1] رواه مسلم: (1163).

[2] السلسلة الصحيحة: (831).

سابعًا: أنها مطردة للداء عن الجسد.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «عليكُم بقيامِ اللَّيلِ، فإنّهُ دَأْبُ الصّالِحينَ قبلَكُم، وقُربةٌ إلى اللهِ تعالى ومَنهاةٌ عن الإثمِ وتكفيرٌللسِّيِّئاتِ، ومَطردةٌ للدّاءِ عن الجسَدِ»[1]

ثامنًا: أن صلاة الليل من أوائل وصايا النبي - صلى الله عليه وسلم - لأهل المدينة عندما قدم عليهم لأول مرة.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أيُّها الناسُ أفْشُوا السلامَ، وأَطْعِمُوا الطعامَ، وصَلُّوا والناسُ نِيامٌ، تَدْخُلوا الجنةَ بسَلامٍ»[2]

تاسعًا: أنها تؤدّى في خفاء الناس، وهذا أدعى لكثرة الأجر.

عاشرًا: أنها تُصلى غالبا في وقت نزول الربّ إلى السماء الدنيا، وهووقت شريف.

حادي عشر: أنها سبب في رفع الدرجات.

ثاني عشر: أنها من أبواب الخير.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ألا أدلُّكَ على أبوابِ الخيرِ؟ الصَّومُ جنَّةٌ، والصَّدقةُ تطفئُ الخطيئةَ كما يطفئُ النّارَالماءُ، وصلاةُ الرَّجلِ مِن جوفِ اللَّيلِ»[3]

من ثمرات قيام الليل:

أوّلًا: تعاهد القرآن بالحفظ والإتقان بالقيام به.

ثانيًا: المعونة على الاستيقاظ لصلاة الفجر.

ثالثًا: التشبّه بالرعيل الأوّل.

من الأسباب المعينة على قيام الليل:

---

[1] صحيح الجامع: (4079).

[2] حديث صحيح، رواه الترمذي: (2485).

[3] صحيح ابن ماجه: (3224).

أوّلًا: الدعاء.

ثانيًا: المحافظة على الفرائض، فحرص العبد على أداء ما لا تبرأ الذمّة إلّا به، دليل على همّته في فعل أحبّ ما يتقرّب به إلى الله عزوجلّ.

ثالثًا: تجنّب السهر إلّا فيما دعت الحاجة إليه.

رابعًا: الحرص على القيلولة وسط النهار أو بعده.

خامسًا: ترك المعاصي والإقلاع عنها.

سادسًا: مجاهدة النفس على القيام وترك التثاقل والتسويف.

قال الشاعر:

والنَّفْسُ كالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبّ عَلَى

حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

سابعًا: اتّخاذ الأسباب التي تُمكّن المسلم من القيام؛ كتوقيت الساعة.

وبات عند الإمام أحمد رجل فوضع عنده ماء، قال الرجل: فلم أقم بالليل ولم أستعمل الماء، فلما أصبحت قال لي: لِمَ لَمْ تَستَعْمِل الماء؟ فاستحييت وسكت، فقال: سبحان الله! سبحان الله! ما سمعت بصاحب حديث لا يقوم الليل».

طالب العلم وبر الوالدين

هذا المبحث من الأهمية بمكان عظيم، وعلى طالب العلم أن يجعل هذا نصب عينيه؛ لعظيم شأنه وجليل قدره، وأدرى الناس بهذا أهلُ العلم؛ لعلمهم بدلالة النصوص الكثيرة في شأن الوالدين، ويكفي شاهدًا في هذا المبحث قولُ الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء ٢٣]

وسأل عبدُ الله بن مسعود رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -: أيّ العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على وقتها» قلتُ: ثم أيّ؟ قال: «بر الوالدين»[1]

ومن الأخبار الواردة في بر بعض الأئمة بوالديهم:

أ- بكى إياس بن معاوية لمّا ماتت أمّه، فقيل: ما يُبكيك؟ قال: «كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة، وغُلِّق أحدهما».

ب- وسُئل الإمام ابن عساكر عن سبب تأخره عن المجيء إلى أصبهان، فقال: «لم تأذن لي أمي».

ج- وقال الذهبي في ترجمة عبد الرحمن بن عبد اللطيف البغدادي: «وكنت أتحسّر على الرحلة إليه، وما أتجسّر؛ خوفًا من الوالد؛ فإنه كان يمنعني».

---

[1] رواه البخاري: (5970)، ومسلم: (85).

طالب العلم في أثناء الجدال العلمي

قد يجمع طالب العلم مجلسُ علم يتخلله طرح بعض المسائل العلمية التي تختلف فيها وجهات نظر من يجالسك، حسب بحث وفهم كلّ واحد منهم، وربما يصل الأمر إلى درجة المناظرة، وهذا لا غرابة فيه ولا عجب، لكن كل ذلك بهدف التوصل إلى الحق وبيانه، ومن ثم رجوع المخالفين إليه، تظلّهم في ذلك ظلال المحبة والإخاء، لكن الواقع أن بعض المناظرات العلمية قد تخرج عن هدفها الأسمى، وقد تجر أصحابها إلى الوقوع في محاذير شرعية، من حب الانتصار للنفس، والمكابرة في عدم الرجوع إلى الحق، وإظهار التشفّي من الطرف الآخر عند رؤيته متراجعًا عن قوله.

من آداب المناظرة العلمية:

أوّلًا: أن يكون القصد ابتغاء مرضات الله تعالى في إظهار الحق.

ثانيًا: أن يكون عالمًا أو ملمًّا بالمسألة التي يُناظر فيها.

ثالثًا: إظهار روح المودّة والأخوّة قبل و أثناء وبعد الجدل.

رابعًا: ضبط النفس وعدم الانفعال.

ورد عن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة: أنه كان لا يُناظر أحدًا إلا وهو يبتسم، حتى قال بعض الناس: هذا الشيخ يقتل خصمه بالتبسّم.

خامسًا: المبادرة إلى الرجوع عند ظهور الحق مع صاحبه.

سادسًا: عدم التشهير بخصمك عند غلبته في مجالس المناظرة.

سابعًا: شكر أخيك عند ظهور حجتك عليه، والثناء عليه في رجوعه إلى الحق.

ثامنًا: إغلاق باب المناظرة إذا رأيت من الطرف الآخر عنادًا وتعنّتًا.

وصايا لطالب العلم

الأولى: الإخلاص لله تعالى في الطلب والتحصيل.

الثانية: قراءة الكتب المتعلقة بالعلم وطلبه وآدابه.

الثالثة: تقديم الأولويات في الطلب.

الرابعة: الحذر من التعالم.

الخامسة: الثناء على الله تعالى عند ذكره.

السادسة: الصلاة والسلام على النبي - صلى الله عليه وسلم - عند ذكره.

السابعة: الترضّي عن الصحابة - رضي الله عنهم - عند ذكرهم.

تنبيه: نُلاحظ فيما نقرأ ونسمع أن عليًا - رضي الله عنه - إذا ذُكر تُذكر معه أوصاف ثلاثة:

أ- إما أن يُقال: الإمام علي.

ب- أو يُقال: علي كرّم اللهُ وجهَه.

جـ- أو: عليّ عليه السلام.

وقد نصّ أهل العلم على أنه لا يجوز أن يُخصّ عليّ دون سائر الصحابة - رضي الله عنهم - فالشيخان وعثمان أفضل منه - رضي الله عنهم -.

الثامنة: الترحم على العلماء عند ذكرهم.

التاسعة: عدم العزو إلى مرجع إلّا إذا قرأ الخبر فيه.

العاشرة: عدم نسبة الحديث إلى غير الصحيحين إذا كان فيهما أو في أحدهما.

الحادية عشرة: التثبّت في النقل.

الثانية عشرة: عزو الفائدة إلى صاحبها.

من بكرة العلم أو نماء العلم أن تعزو الفضل إلى أهله.

إذا أَفَادَكَ إِنْسَانٌ بِفَائِدَةٍ

مِنْ العُلُومِ فَأَدْمِنْ شُكْرَهُ أَبَدًا

وَقُلْ: فُلَانٌ جَزَاهُ اللهُ صَالِحَةً

أَفَادَنِيهَا وَأَلْقِ الكِبْرَوَالحَسَدَا

الثالثة عشرة: عدم احتقار الفائدة وإنّ قلّت.

الرابعة عشرة: الحذر من كتم الفائدة ومحاولة الاستئثار بها في بعض الأحايين.

الخامسة عشرة: الحذر من الاستشهاد بالأخبار الضعيفة والموضوعة.

السادسة عشرة: عدم تضعيف الحديث إلا بعد البحث والسؤال.

السابعة عشرة: عدم إهمال المسائل التي تُسأل عنها.

الثامنة عشرة: حمل مذكّرة صغيرة لتقييد الفوائد والمسائل.

التاسعة عشرة: محاولة القراءة عن كلّ مناسبة تحصل، أو عن كل نازلة تنزل، أو عن الموسم قبل حلوله.

العشرون: الحذر من كثرة الاشتغال بالمباحات.

الحادية والعشرون: تجنب الاشتغال بالمفضول وترك الفاضل.

مثال ذلك: كثرة تصوير المخطوطات، وشراء الطبعات الكثيرة للكتاب الواحد.

الثانية والعشرون: زيارة المكتبات والاطّلاع على ما جدّ من الكتب.

الثالثة والعشرون: تفقد مكتبك الخاصة؛ لأن الطالب كلما كان محيطًا بما في مكتبته من المراجع والمصادر كان هذا أحفظ لوقته.

الرابعة والعشرون: تجنب تعميم الاصطلاح العلمي المتشابه في اللفظ.

بعض العلماء قد يصطلح اصطلاحًا خاصًّا بنفسه، فمن الخطأ العلمي أن تُعمّم هذا الاصطلاح على غيره.

مثال ذلك: الشائع أن عبارة (متفق عليه) تعني: رواه البخاري ومسلم، لكنها تعني في كتاب «منتقى الأخبار» لمجد الدين ابن تيمية: رواه أحمد والبخاري ومسلم.

الخامسة والعشرون: الحرص على قراءة الكتب التي تبيّن اصطلاح المؤلّفين، أو تبيّن منهج الكتاب أو مباحث الكتاب.

السادسة والعشرون: عدم التسرّع في فهم الكلام.

السابعة والعشرون: الإكثار من قراءة كتب الفتاوى

الثامنة والعشرون: عدم التسرع في النفي العام، فإن إحاطة الإنسان بما يعلمه أكثر من إحاطته بما يجهله.

التاسعة والعشرون: إذا رويت حديثًا بالمعنى فبيّن ذلك.

والرواية بالمعنى منعها قوم كابن سيرين، لكن الصحيح - وهو قول الجمهور من المحدثين - جوازها، بقيود، منها:

أ- أن تكون عالمًا بما يروى.

ب- ألا يكون تغيير اللفظ يترتب عليه تغيير في حكم.

جـ- ألا يكون الحديث مما يتعبد بلفظه كالأذكار.

الثلاثون: تجنب استخدام ألفاظ التعظيم أو العظمة للثناء على نفسك.

تَوَاضَعْ تَكُنْ كَالنَّجْمِ لَاحَ لِنَاظِرٍ

عَلَى صَفَحَاتِ الْمَاءِ وَهْوَ رَفِيعُ

وَلَا تَكُ كَالدُّخَانِ يَرْفَعُ نَفْسَهُ

إِلَى طَبَقَاتِ الجَوِّ وَهْوَ وَضِيعُ

الحادية والثلاثون: تقبّل النقد والنصح بصدر رحب.

الثانية والثلاثون: عدم الاكتراث بقلة المستفيدين.

ذكر الذهبي في ترجمة عطاء بن أبي رباح أن أحد معاصريه قال: «رأيت عطاء - وهو أرضى أهل الأرض عند الناس - وليس يجلس معه إلا تسعة أو ثمانية»، فالعبرة ليست بالكثرة، إنما العبرة في الإخلاص، وفي النفع المقدَّم لهذا الجمع.

الثالثة والثلاثون: الحذر من إضاعة الأوقات في البحث عن الأمور التي لا فائدة منها.

الرابعة والثلاثون: عدم الاشتغال بالفوائد والشوارد أثناء بحث مسألة.

الخامسة والثلاثون: عدم التشتت في أثناء القراءة.

قال ابن جماعة: «وكذلك يحذر في ابتداء طلبه من النظر في تفاريق المصنفات؛ فإنه يضيع زمانه ويفرق ذهنه، بل يعطي الكتاب الذي يقرؤه - أو الفن الذي يأخذه - كليته حتى يتقنه».

السادسة والثلاثون: عدم التقعر في اختيار الألفاظ.

السابعة والثلاثون: الحذرُ من القولِ بلا علم، والحرجِ من ترك سؤال بلا جواب.

أتى إمامَ دار الهجرة رجلٌ من الأندلس، وسأله عن ثنتين وأربعين مسألة، فأجاب عن اثنتين، وقال في الأربعين: لا أدري، فتعجب الرجل ثم قال: أنت مالك ولا تدري؟! قال: نعم، وأخبر مَن وراءك أن مالكًا لا يدري.

الثامنة والثلاثون: عدم التأثر بالإهانة الشخصية إذا سلم دينك

وَإِنْ بُلِيتَ بِشَخْصٍ لَا خَلَاقَ لَهُ

فَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَلَمْ يَقُلِ

وقِيل: إن الشافعي قال:

يُخاطِبُني السَّفِيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ

فَأَكْرَهُ أَنْ أَكونَ لَهُ مُجِيبًا

فَإِنْ كَلَّمْتُهُ فَرَّجْتُ عَنْهُ

وَإِنْ خَلَّيتُهُ كَمَدًا يَمُوتَا

يَزيدُ سَفَاهةً فَأَزِيدُ حِلمًا

كَعُودٍ زَادَهُ الْإِحْرَاقُ طِيبًا

التاسعة والثلاثون: عدم اليأس من الطلب، وعدم القنوط، والحذر من الفتور.

وصلّى الله وسلم على نبيّنا محمد, وعلى آله وصحبه أجمعين